الاتجاه الاجتماعي والسياسي في القرآن الكريم. دراسة مقارنة بين السيد علي الخامنئي وسيد قطب

الباحث : ميثم علي فهد القرغولي
الجمهورية الإسلامية الإيرانية / جامعة قم
كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية
mythmalqrghwly94@gmail.com

الأستاذ المشرف: الدكتور السيد رضا مؤدب
الجمهورية الإسلامية الإيرانية / جامعة قم
كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية
Reza@moaddab.ir

الأستاذ المساعد: الدكتور محمد رضا عزتي فردوني
الجمهورية الإسلامية الإيرانية / جامعة قم
كلية الإلهيات والمعارف الإسلامية
ezzati1991@gmail.com

الكلمات المفتاحية: الاتجاه الاجتماعي، الاتجاه السياسي، السيد علي الخامنئي، سيد قطب، الحكومة الإسلامية، السنن الإلهية، دراسة قرآنية.

كيفية اقتباس البحث

القرغولي ، ميثم علي فهد ، السيد رضا مؤدب ، محمد رضا عزتي فردوني، الاتجاه الاجتماعي والسياسي في القرآن الكريم. دراسة مقارنة بين السيد علي الخامنئي وسيد قطب، مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، تشرين الثاني ٢٠٢٥،المجلد:١٥ ،العدد:٦ .

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Title: The social and political trend in the Holy Quran: A comparative study between Sayyid Ali Khamenei and Sayyid Qutb

Researcher: Maytham Ali Fahd Al-Qarghouli
Islamic Republic of Iran / University of Qom, Faculty of Theology and Islamic Studies

Supervising Professor: Dr. Sayyed Reza Moadab
Islamic Republic of Iran / University of Qom, Faculty of Theology and Islamic Studies

Assistant Professor: Dr. Mohammad Reza Ezzati Fardouni
Islamic Republic of Iran / University of Qom, Faculty of Theology and Islamic Studies

Keywords : Societal approach, Political approach, Sayyid Ali Khamenei, Sayyid Qutb, Islamic government, Divine norms, Quranic study.

How To Cite This Article
Al-Qarghouli, Maytham Ali Fahd, Sayyed Reza Moadab, Mohammad Reza Ezzati Fardouni, Title: The social and political trend in the Holy Quran: A comparative study between Sayyid Ali Khamenei and Sayyid Qutb, Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, November 2025,Volume:15,Issue 6.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract:

This research conducts a comparative analytical study of the socio-political approach in the exegetical thought of two influential figures in the contemporary Muslim world: Imam Ali Khamenei and Sayyid Qutb.

The research stems from the central problematic of how to transform the Qur'an from a recited text into a lived reality, and it compares two primary methodologies for achieving this goal. The general orientation for both is the activation of the Holy Qur'an as a force for social and political change. They share the ultimate goal of establishing comprehensive Islamic governance and moving beyond traditional, theoretical exegesis. However, they differ fundamentally in their starting point and methodology of change. Imam Khamenei represents the "state-led reformist" approach, which is top-down, viewing the state as the primary instrument for implementing the Qur'an and addressing societal issues. In contrast, Sayyid Qutb represents the "foundational-revolutionary" approach, which is bottom-up, arguing that building a "vanguard group" (*jama'ah tali'iyyah*), isolated from modern ignorance (*Jahiliyyah*), is the prerequisite and sole foundation upon which a state can later be established. Thus, the research presents a comparison between a vision that prioritizes the administration of the existing state and a vision that prioritizes building the societal base first. To analyze this, the research employs a comparative methodology by extrapolating from Imam Khamenei's exegetical models in Surah At-Tawbah, classifying them under themes such as countering intellectual doubts, diagnosing societal ills, and deducing divine laws (*Sunan Ilahiyyah*). In parallel, the foundational vision proposed by Sayyid Qutb in "In the Shade of the Qur'an" and "Milestones" is analyzed. The findings show that Imam Khamenei utilizes exegesis as a practical tool to directly address the challenges of the state and society. Sayyid Qutb's thought, on the other hand, is focused on delineating the "milestones" for building the solid societal nucleus that will carry the Islamic project. The research concludes that the difference between them is not in the objective, but in the strategy to achieve it, reflecting two divergent visions of the relationship between religion, society, and the state in contemporary Islamic thought.

المستخلص

يتناول هذا البحث بالدراسة التحليلية المقارنة الاتجاه الاجتماعي السياسي في الفكر التفسيري لشخصيتين مؤثرتين في العالم الإسلامي المعاصر، هما الإمام علي الخامنئي وسيد قطب. ينطلق البحث من إشكالية محورية تتمثل في كيفية تحويل القرآن من نص يُقرأ إلى واقع يُعاش، ويقارن بين منهجين رئيسيين لتحقيق هذا الهدف. فالاتجاه العام لكليهما هو تفعيل القرآن الكريم كقوة للتغيير الاجتماعي والسياسي. ويشتركان في الهدف النهائي المتمثل في ضرورة إقامة حكم إسلامي شامل، وتجاوز التفسير التقليدي النظري. لكنهما يختلفان جوهريًا في نقطة

الانطلاق ومنهجية التغيير؛ فالإمام الخامنئي يمثل الاتجاه "الإصلاحي الحكومي" الذي ينطلق من الأعلى إلى الأسفل، ويرى أن الدولة هي الأداة الرئيسية لتطبيق القرآن ومعالجة قضايا المجتمع. في المقابل، يمثل سيد قطب الاتجاه "الثوري التأسيسي" الذي ينطلق من الأسفل إلى الأعلى، ويرى أن بناء "الجماعة الطليعية" المنعزلة عن الجاهلية هو الشرط المسبق والأساس الوحيد الذي تقوم عليه الدولة لاحقًا. وبذلك، يقدم البحث مقارنة بين رؤية ترى الأولوية في إدارة الدولة القائمة، ورؤية ترى الأولوية في بناء القاعدة المجتمعية أولًا. ولتحليل ذلك، اعتمد البحث على المنهج المقارن، من خلال استقراء النماذج التفسيرية للإمام الخامنئي في سورة التوبة، وتصنيفها ضمن محاور كالتصدي للشبهات، وتشخيص أمراض المجتمع، واستنباط السنن الإلهية. وفي المقابل، تم تحليل الرؤية التأسيسية التي طرحها سيد قطب في "في ظلال القرآن" و"معالم في الطريق." وتُظهر النتائج أن الإمام الخامنئي يوظف التفسير كأداة عملية لمعالجة تحديات الدولة والمجتمع بشكل مباشر. أما فكر سيد قطب، فيتركز على استنباط معالم الطريق لبناء النواة المجتمعية الصلبة التي ستحمل المشروع الإسلامي. ويخلص البحث إلى أن الاختلاف بينهما ليس في الهدف، بل في استراتيجية الوصول إليه، مما يعكس رؤيتين متباينتين لطبيعة العلاقة بين الدين والمجتمع والدولة في الفكر الإسلامي المعاصر.

تمهيد

لم يكن القرآن الكريم عبر تاريخ الإسلام مجرد نص يُتلى للبركة أو كتاب يُعنى بالعبادات الفردية والأحكام الشرعية البحتة، بل هو دستور شامل ومنهاج حياة متكامل، قُدّم للبشرية لإخراجها من الظلمات إلى النور. وفي مواجهة تحديات العصر الحديث وتعقيداته السياسية والاجتماعية، برزت اتجاهات تفسيرية سعت إلى تفعيل الدور الهدايتي للقرآن الكريم، وتجاوز التفسير التقليدي لاستلهام حلول للقضايا المعاصرة التي تواجه الأمة.

وفي هذا السياق، يبرز اسمان لهما وزن كبير في الفكر الإسلامي المعاصر: الإمام علي الخامنئي، وسيد قطب. كلاهما رأى في القرآن الكريم مشروعاً نهضوياً متكاملاً لإصلاح المجتمع وبناء الدولة، لكنهما انطلقا من رؤى ومنهجيات حملت في طياتها نقاط التقاء واختلاف جوهرية، شكلت مسارين مؤثرين في الحركات الإسلامية المعاصرة.

يهدف هذا البحث إلى إجراء دراسة تحليلية مقارنة للكشف عن ملامح "الاتجاه الاجتماعي والسياسي" في الفكر التفسيري لدى كل من الإمام الخامنئي وسيد قطب. ويُقصد بهذا الاتجاه تلك المقاربة التفسيرية التي تنظر إلى القرآن الكريم بوصفه مرجعًا أساسيًا لتشخيص أوضاع المجتمع، وتقديم حلول عملية لمشكلاته السياسية والاقتصادية والثقافية، وذلك من خلال

ربط النص القرآني بالواقع المعيش، وتفعيل دوره في بناء الدولة وإصلاح الجماعة وتزكية الفرد. ويسعى البحث إلى تتبع كيفية تعامل كل منهما مع النص القرآني كأداة للتشخيص والعلاج، وتحديد رؤيتهما للآليات اللازمة لتطبيق المنهج القرآني في الواقع، سواء على مستوى الفرد، أو الجماعة، أو الدولة.

ولتحقيق ذلك، يعتمد البحث على المنهج التحليلي المقارن، حيث يستعرض في قسمه الأول الأبعاد الرئيسية للاتجاه الاجتماعي السياسي في تفسير الإمام الخامنئي، مستشهداً بنماذج تطبيقية من تفسيره لسورة التوبة. ثم ينتقل في قسمه الثاني إلى تحليل الرؤية التأسيسية لدى سيد قطب لمشروع التغيير القرآني، ومرتكزاتها الفكرية التي بلورها في تفسيره "في ظلال القرآن" وكتابه "معالم في الطريق". وأخيراً، يعقد البحث مقارنة بين الرؤيتين لتحديد أوجه التشابه والاختلاف، واستخلاص النتائج حول طبيعة وأولويات كل مشروع.

وأما بالنسبة للدراسات السابقة الذات صلة بموضوع هذا بالبحث فهي كالتالي:

البحث الموسوم بـ(الفكر السياسي عند الإمام الخامنئي، مجموعة باحثين، ٢٠٢٠).

والكتاب الموسوم بـ(مع سيد قطب في فكره السياسي والديني، د. مهدي فضل الله، مؤسسة الرسالة).

والبحث الموسوم بـ(نظرية التغيير الاجتماعي والسياسي عند سيد قطب، كريم الحفيان، مركز المجدد للبحوث والدراسات).

والبحث الموسوم بـ(الإصلاح الاجتماعي والسياسي في مشروع سيد قطب، كامل عبد الفتاح).

وغيرها من الدراسات والبحوث.

أولًا: الاتجاه الاجتماعي والسياسي للإمام الخامنئي

١- شواهد الاتجاه الاجتماعي السياسي في النماذج التفسيرية للإمام الخامنئي

يتناول هذا المبحث استكشاف وبيان الدلائل والشواهد التي تُبرز بوضوح الاتجاه ذا الطابع الاجتماعي، والذي يمتد ليشمل الأبعاد السياسية أيضًا، في النماذج والأمثلة التفسيرية التي قدمها الإمام الخامنئي للقرآن الكريم. إن الربط بين ما هو اجتماعي وما هو سياسي، كما يُفهم من وضع كلمة "السياسي" بين قوسين، يعكس الرؤية الإسلامية الشاملة التي يتبناها الإمام الخامنئي، حيث يُعتبر الإسلام نظامًا متكاملاً للحياة لا يفصل بين تنظيم شؤون المجتمع وقضاياه السياسية والاقتصادية وبين الجوانب الروحية والأخلاقية للفرد. وتهدف هذه الدراسة إلى تقديم أمثلة تطبيقية ملموسة من تفسيراته، لتُظهر أن هذا الاتجاه ليس مجرد تصور نظري، بل هو ممارسة واضحة ومكون أساسي في تعامله مع النص القرآني بهدف استلهام الحلول للتحديات المعاصرة.

في حالات كثيرة جدًا وبشكل ملحوظ، خضعت المباحث والقضايا الاجتماعية التي يتناولها القرآن الكريم لتحليل معمق وتبيين مفصل في تفسيرات الإمام الخامنئي. فهو لا ينظر إلى القرآن ككتاب يقتصر على العبادات الفردية أو السرد التاريخي فحسب، بل يعتبره مصدرًا أساسيًا ومنهاج عمل شاملاً يهدف إلى تنظيم حياة المجتمع بأسره ودفعه نحو الصلاح والتقدم. ولا يقتصر هذا التحليل والتبيين على الإشارات العابرة، بل يتضمن تفكيكًا للقضايا الاجتماعية وربطها بالسياقات الراهنة واستخلاص الدروس العملية التي تخدم الأمة الإسلامية في واقعها المعاش.

على سبيل المثال، عند تفسيره للآية السابعة والستين من سورة التوبة، والتي تتحدث عن صفات المنافقين وأفعالهم ﴿مثل قوله تعالى: **ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ بَعْضُهُم مِّنۢ بَعْضٍ...**)، نجد أن المباحث الاجتماعية المتعلقة بظاهرة النفاق، وكذلك التيارات والحركات المنافقة التي قد تنشأ وتنشط داخل بنية المجتمع الإسلامي، قد تم طرحها وتحليلها بشكل أكثر بروزًا وعمقًا وتفصيلًا. يتجاوز التفسير هنا مجرد التعريف اللغوي أو السياق التاريخي للنزول، لينتقل إلى تحليل سوسيولوجي لظاهرة النفاق في المجتمع، وكيف يمكن أن تتشكل هذه التيارات المنظمة التي تسعى لتقويض القيم والأهداف العليا للمجتمع من الداخل، وما هي آثارها السلبية على التماسك الاجتماعي ووحدة الصف. وهذا النوع من التحليل يكتسب أهمية خاصة عند النظر إليه في سياق التحديات التي تواجه المجتمعات الإسلامية المعاصرة.

وفي مثال آخر، يتجلى هذا الاتجاه الاجتماعي بوضوح في تفسير الآية ١٠٣ من سورة التوبة ﴿**خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا**...﴾، وتحديدًا عند شرح وتبيين عبارة "تُطَهِّرُهُمْ" التي تكشف عن الآثار العميقة والإيجابية لفعل إيتاء الزكاة. فقد تم استثمار هذه المناسبة لطرح ومناقشة المباحث والقضايا الاجتماعية الجوهرية في الإسلام. فالتطهير هنا لا يُفهم فقط على أنه تطهير نفسي للمزكي من آفة البخل والشح، أو تطهير للمال نفسه بإخراج حق الله وحق الفقراء منه، بل يمتد ليشمل مفهوم **تطهير المجتمع** بأسره. فالزكاة، في هذا المنظور، تُعتبر وسيلة فعالة لتطهير النسيج الاجتماعي من العلل الناجمة عن الفقر والحاجة والتفاوت الطبقي، وما قد يترتب عليها من مشاعر سلبية كالحقد والحسد أو نزاعات تهدد استقرار المجتمع.[١] وبهذا، يُبرز التفسير دور الزكاة كنظام إسلامي أصيل لتحقيق العدالة والتكافل الاجتماعي، وإعادة توزيع الثروة بشكل يضمن حياة كريمة للجميع ويقوي أواصر الأخوة والتعاون بين أفراد المجتمع، مؤكدًا على أن العبادات في الإسلام، بما فيها الفرائض المالية، ليست مجرد طقوس فردية منعزلة، بل لها وظائف اجتماعية حيوية ومقاصد سامية تهدف إلى إصلاح المجتمع وتحقيق تماسكه وقوته.

كما أن القيد الهام المتمثل في عبارة "فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ"، الوارد ضمن مصارف الزكاة الثمانية المذكورة في الآية الستين من سورة التوبة ﴿**إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ... وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ...**﴾، قد اعتُبر هو الآخر في تفسيرات الإمام الخامنئي شاهدًا ودليلًا إضافيًا على حقيقة أساسية في الرؤية الإسلامية، وهي أن المذهب والنظام الاقتصادي في الإسلام يولي اهتمامًا متوازنًا ودقيقًا لكل من الفرد وحقوقه ومصالحه المشروعة، والجماعة (المجتمع ككل) ومصالحها العليا واحتياجاتها العامة. فالتفسير هنا لا يحصر غالبًا مفهوم "في سبيل الله" في الجهاد بمعناه العسكري الضيق، بل يوسعه ليشمل كل عمل ومشروع يعود بالخير والنفع العام على المسلمين ويخدم الأهداف الكبرى للإسلام؛ كبناء المؤسسات التعليمية والصحية، ودعم البحث العلمي، وتمويل المشاريع التي تعزز قوة الأمة وتحقق استقلالها، ومواجهة التحديات الفكرية والثقافية، وغير ذلك من المصالح العامة التي تحفظ كيان المجتمع وتساهم في رقيه.[٢] وهذا يؤكد على النظرة الاقتصادية الإسلامية المتوازنة التي تعترف بالملكية الفردية وتحث على الكسب الحلال، ولكنها في الوقت ذاته تفرض على الثروة وظيفة اجتماعية وتوجه جزءًا من الموارد نحو تحقيق المصالح العامة التي تخدم المجتمع بأسره، مقدمة بذلك نموذجًا يتجاوز إفراط الرأسمالية في تقديس الفرد وتفريط الاشتراكية في حقوقه، ليجعل من الاقتصاد أداة في خدمة الأهداف الأسمى المتعلقة بصلاح المجتمع وقوته وعزته.

وستأتي أمثلة ونماذج تطبيقية أخرى تُفصّل هذا الاتجاه الاجتماعي والسياسي وتوضح أبعاده المختلفة في المباحث والنقاشات اللاحقة من هذه الدراسة، مما سيعزز فهمنا لعمق هذه الرؤية في فكر الإمام الخامنئي التفسيري.

٢- الرد على الشبهات القرآنية

من الخصائص والمميزات الجوهرية الأخرى للتفسير ذي المنحى الاجتماعي والذي يتبنى بوضوح توجهًا هدايتيًا وإرشاديًا، كما هو الحال في تفسيرات الإمام الخامنئي، هو تصدي المفسِّر بشكل واعٍ ومنهجي ومباشر للشبهات والتساؤلات والإشكالات المتنوعة التي تُطرح وتُثار عمدًا أو عن جهل في الساحات الفكرية والثقافية المعاصرة، سواء كان مصدرها من داخل المحيط الإسلامي أم من خارجه، وذلك في كل ما يتعلق بالمعارف والمفاهيم والقيم والمبادئ القرآنية السامية. إن التفسير الذي يهدف إلى الهداية لا يمكنه أن يظل منعزلاً عن الواقع الفكري المحيط به، بل يرى من واجبه الأساسي التفاعل مع هذه التحديات وتقديم الردود المقنعة التي تزيل اللبس وتثبت اليقين. فالهداية تتضمن تزويد المؤمن بالحصانة الفكرية اللازمة لمواجهة التيارات المشككة، وتقديم فهم صحيح وعميق لتعاليم القرآن يُظهر عظمتها وصلاحيتها لكل زمان ومكان.

وتُلاحظ في تفسيرات الإمام الخامنئي حالات وأمثلة متعددة وملموسة لهذا التصدي للشبهات، مما يدل على الأهمية البالغة التي يوليها لهذا الجانب الحيوي في عملية التفسير. إن وجود هذه الردود بشكل متكرر ومنهجي يعكس إدراكه العميق لطبيعة التحديات الفكرية والثقافية التي تواجه المسلمين في العصر الحديث، وسعيه الدؤوب لتزويدهم بالأدوات المعرفية والمنطقية اللازمة للحفاظ على قناعاتهم الراسخة والدفاع عن كتاب ربهم بأحسن بيان. وهذا لا يقتصر على جانب دون آخر، بل يشمل الرد على الشبهات المتعلقة بمختلف جوانب المعارف القرآنية، سواء كانت عقائدية، أو تشريعية، أو أخلاقية، أو تاريخية، أو علمية.

ومن جملة هذه الحالات التي يمكن الوقوف عندها في تفسيراته:

١.في سياق تفسير الآية الخامسة من سورة التوبة، التي تتضمن الأمر بقتال المشركين في ظروف معينة ﴿**فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلۡأَشۡهُرُ ٱلۡحُرُمُ فَٱقۡتُلُواْ ٱلۡمُشۡرِكِينَ حَيۡثُ وَجَدتُّمُوهُمۡ**...﴾، تم طرح التساؤل حول الأساس المنطقي والحكمة الكامنة وراء مثل هذا الحكم الذي قد يبدو قاسيًا للوهلة الأولى. وعندها، تم تقديم شرح وتبيين مفصل للإجابة على هذا التساؤل، حيث رُكّز على أن السبب الجوهري لهذا الأمر لا يكمن في مجرد الاختلاف العقائدي، بل في كون هؤلاء المشركين، في ذلك السياق التاريخي المحدد، كانوا يشكلون عائقًا فعليًا ومنظمًا أمام طريق الإنسانية نحو الرقي والتقدم، ويمثلون سدًا منيعًا أمام وصول البشرية إلى السعادة الحقيقية التي جاء بها الإسلام كرسالة هداية ورحمة.[٣] وبهذا التحليل، يتم وضع الحكم في إطاره الصحيح، ليس كدعوة للعنف العشوائي، بل كإجراء ضروري لإزالة عقبة كأداء كانت تمنع انتشار النور الإلهي وتحول دون تحرر الإنسان من قيود الجاهلية والظلم، مما يربط التشريع القرآني بمقاصد عليا تتعلق بحماية مسيرة الإنسانية نحو الكمال.

٢.وفي معرض تفسير الآية الثانية عشرة من سورة التوبة، وتحديدًا عند عبارة "وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمۡ"، طُرح هذا السؤال الإشكالي: هل يعكس هذا الأمر بأن الإسلام يحمل ضغينة شديدة بحيث يرد على كل من ينتقده أو يتحدث ضده بالسيف والعنف؟ بعد طرح هذا التساؤل الذي يلامس شبهة شائعة حول تعامل الإسلام مع المخالفين، تم تقديم رؤية الإسلام المتكاملة في هذا الشأن. فقد تم التأكيد على مبادئ المداراة والتسامح والعفو عند المقدرة كقيم إسلامية أصيلة، مع أهمية الحفاظ على القوة والعزة لردع العدوان. كما تم التنويه بمنهج المجادلة بالتي هي أحسن مع المخالفين في الرأي، مع الإشارة إلى آيات قرآنية أخرى تؤكد هذا النهج السلمي في الحوار. وفي سياق الرد المحدد على الشبهة المتعلقة بالآية، جاء التوضيح بأن المقصود بـ "الطعن في الدين" الذي يستوجب الرد الحاسم ليس مجرد الانتقاد أو إبداء الرأي المخالف، بل هو الاعتداء المنظم

والممنهج الذي يهدف إلى تشويه صورة الدين بشكل خبيث ومنع الناس من الاستماع لدعوته وقبول رسالته، أي أنه عمل عدواني يهدف إلى تقويض أساس الدعوة وعرقلة انتشارها، وليس مجرد تعبير عن رأي أو معارضة فكرية.[٤] هذا التفريق الدقيق يزيل اللبس ويدفع تهمة التعصب والعنف عن الإسلام.

٣.وفي تفسير الآية الثالثة عشرة من سورة التوبة، عند قوله تعالى ﴿**أَتَخْشَوْنَهُمْ ۚ فَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ**﴾، طُرح هذا التساؤل الذي يبدو منطقيًا: كيف يمكن للمسلمين، الذين عُرفوا في صدر الإسلام وفي أصعب الظروف وأشدها بشجاعتهم وإقدامهم الفريد، أن يصلوا إلى حالة من الخشية والخوف الآن، في وقت أصبح فيه الإسلام هو القوة المهيمنة التي بسطت نفوذها على شبه الجزيرة العربية بأكملها؟ هذا التساؤل يستبطن استغرابًا من إمكانية وجود الخوف في نفوس المؤمنين بعد أن بلغوا مرحلة التمكين والقوة الظاهرية. وتبعًا لذلك، وفي إطار الإجابة على هذا التساؤل، تم تحديد سببين أساسيين ومنشأين لجذور هذا الخوف المذكور في الآية الكريمة، ربما يتعلقان بضعف داخلي في الإيمان لدى البعض، أو بوجود مؤثرات سلبية داخل المجتمع المسلم نفسه، أو ربما الخوف من فقدان المكاسب الدنيوية.[٥] وبهذا التحليل، يتجاوز التفسير النظرة السطحية، ليغوص في الأسباب النفسية والاجتماعية العميقة التي قد تؤدي إلى الخوف حتى في ظل القوة الظاهرية، مقدمًا درسًا بليغًا حول أهمية الثبات الداخلي وعدم الاغترار بالمظاهر.

٤.وفي سياق شرح الآية التاسعة والعشرين من سورة التوبة، التي تتضمن حكم أخذ الجزية من أهل الكتاب الذين لا يدينون دين الحق ﴿**قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ... حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَٰغِرُونَ**﴾، تم طرح هذا التساؤل الهام: ما هي الحكمة والفلسفة من وراء فرض الجزية على أهل الكتاب؟ ولماذا يتم أخذ هذا المقابل المالي منهم؟ وقد تم تقديم إجابة مفصلة وشاملة على هذا السؤال. غالبًا ما تتضمن مثل هذه الإجابات توضيح أن الجزية ليست عقوبة على المعتقد، بل هي بدل مالي يدفعه غير المسلمين المواطنين في الدولة الإسلامية مقابل حمايتهم والدفاع عنهم وإعفائهم من الخدمة العسكرية التي يُلزم بها المسلمون، وكذلك كمساهمة منهم في نفقات الدولة التي توفر لهم الأمن والخدمات. كما قد يُشار إلى أن مقدارها كان غالبًا رمزيًا ويُعفى منها غير القادرين كالنساء والأطفال والشيوخ والفقراء والرهبان.[٦] هذا التفصيل يهدف إلى إزالة الفهم الخاطئ للجزية كضريبة إذلال أو استغلال، ووضعها في سياقها كنظام مالي وإداري كان معمولًا به بصيغ مختلفة في حضارات أخرى أيضًا، مع التأكيد على الضمانات والحقوق التي يتمتع بها أهل الذمة في ظل الحكم الإسلامي العادل.

٥.وفي معرض تفسير الآية الأربعين من سورة التوبة، عند قوله تعالى ﴿**فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا..**﴾، وبعد بيان أن الضمير في "عليه" يعود بشكل واضح إلى النبي الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) في حادثة الهجرة والغار، طُرحت هذه الشبهة ذات البعد العقائدي: ما حاجة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وهو المؤيد بالعصمة والتأييد الإلهي الدائم، إلى نزول السكينة، التي تعني الطمأنينة ورباطة الجأش، عليه في ذلك الموقف؟ ألا يدل ذلك على وجود قلق أو اضطراب ينافي كماله؟ عندئذ، وبالاستعانة بآيات قرآنية أخرى وبالفهم العميق لمقام النبوة، تم تقديم الجواب الشافي على هذه الشبهة. غالبًا ما يوضح الجواب أن نزول السكينة على النبي لا يعني وجود نقص أو ضعف لديه، بل هو مظهر من مظاهر العناية الإلهية الخاصة، وزيادة في التثبيت والتأييد في موقف شديد الخطورة، وهو كذلك إكرام وتشريف له، وقد يكون له أثر أيضًا على صاحبه في الغار (أبو بكر). كما يمكن تفسير السكينة هنا بأنها نوع خاص من الطمأنينة ذات طبيعة إلهية تتناسب مع جلال الموقف وعظم المسؤولية، ولا تعني بالضرورة وجود خوف سابق بقدر ما هي تعزيز للقوة الروحية والمعنوية[٧].

٦.كما تم التصدي للشبهات التي أثيرت حول مسألة عصمة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) في سياق تفسير الآية الثالثة والأربعين من سورة التوبة ﴿**عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمۡ...** ﴾، حيث قد يفهم البعض من ظاهر العبارة ﴿عفا الله عنك﴾ وجود خطأ أو ذنب صدر من النبي يستدعي العفو. وقد تم الرد على هذه الشبهات بشكل مفصل وموسع. تركز الإجابات عادة على أن "العفو" هنا ليس عن ذنب بالمعنى المتعارف عليه الذي ينافي العصمة، بل هو عتاب رقيق ومقدمة لبيان الأولى والأفضل في التعامل مع الموقف، أو أنه "عفو" بمعنى الإخبار المسبق بعدم المؤاخذة على أمر هو في حقيقته ليس خطأً، ولكنه خلاف الأولى. كما يُستشهد بأدلة أخرى من القرآن والسنة على عصمة الأنبياء المطلقة، ويُفسر سياق الآية بما ينسجم مع هذه العقيدة الراسخة، لإزالة أي التباس قد يطرأ في ذهن القارئ حول مقام النبوة الشامخ.

٧.وكذلك تمت الإشارة في تفسير الآية السادسة والأربعين من سورة التوبة ﴿**وَلَوۡ أَرَادُواْ ٱلۡخُرُوجَ لَأَعَدُّواْ لَهُۥ عُدَّةٗ وَلَٰكِن كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ...** ﴾ إلى الإشكالات والشبهات التي قد ترد على الذهن عند قراءة هذه الآية، ومن جملة هذه الإشكالات: لأي سبب كره الله خروج أولئك المنافقين للجهاد؟ أليس الجهاد أمرًا مطلوبًا؟ ولماذا نُسب تثبيطهم وتأخيرهم عن الخروج إلى الله تعالى؟ ألا يتعارض هذا مع حرية الاختيار الإنساني ومسؤوليته عن أفعاله؟ وقد تم تقديم الإجابات على هذه التساؤلات بشكل مفصل. يوضح التفسير عادة أن كراهية الله لانبعاثهم لم تكن كراهية لفعل الجهاد نفسه، بل كراهية لما سيترتب على خروجهم من مفاسد، كبث الإشاعات وتثبيط همم

المؤمنين وإحداث الفتنة في الصف، فكان عدم خروجهم خيرًا للمسلمين. أما نسبة التثبيط إلى الله، فتُفهم في إطار أن الله تعالى، بعلمه وحكمته، هيأ الأسباب أو كشف نواياهم أو سمح لموانعهم الداخلية (كعدم الإخلاص) بأن تحول دون خروجهم، دون أن يعني ذلك إجبارهم أو سلب إرادتهم، بل هو ترك لهم وما اختاروه لأنفسهم مع بيان الحكمة الإلهية في ذلك[٨].

٨.وعند تفسير الآية الرابعة والخمسين من سورة التوبة ﴿**وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ**...﴾، طُرح هذا السؤال الذي يتردد كثيرًا في الواقع المعاصر: هل يعني هذا أن الكفار الذين قدموا خدمات جليلة وعظيمة للإنسانية (وضُرب المثال بشخصية مثل أديسون كمخترع له إسهامات كبيرة) سيكون مصيرهم جميعًا إلى النار لمجرد كفرهم، رغم أعمالهم النافعة؟ وقد تم التعرض للإجابة على هذا السؤال الهام. غالبًا ما توضح الإجابة الفرق بين القبول الإلهي الذي يشترط الإيمان، وبين الأثر الدنيوي للعمل أو العدل الإلهي في التعامل مع أعمال غير المؤمنين. قد يُشار إلى أن الله قد يجازيهم على أعمالهم الحسنة في الدنيا بصحة أو رزق أو سمعة حسنة، ولكن القبول المؤدي للنجاة في الآخرة مرتبط بالإيمان بالله ورسوله كأساس. كما قد تُطرح نقاشات حول مفهوم "الكفر" وأنواعه، وحال من لم تصله الدعوة بشكل صحيح (أهل الفترة)، ومصير المستضعفين، مما يقدم رؤية أكثر تفصيلاً وتعقيدًا لقضية الثواب والعقاب تتجاوز الأحكام السطحية[٩].

وتوجد أمثلة ونماذج أخرى كثيرة جدًا غير ما تم ذكره هنا، مما يؤكد أن الرد على الشبهات ومعالجة الإشكالات الفكرية هو سمة بارزة ومتأصلة في الاتجاه التفسيري الهدايتي للإمام الخامنئي.

٣- تحليل الأمراض الاجتماعية وحلولها القرآنية

مما لا شك فيه أن من أبرز السمات والمؤشرات التي تميز الاتجاه التفسيري ذا الطابع الاجتماعي هو الاهتمام العميق والواعي بالآلام والمشكلات والأمراض الاجتماعية القائمة في الواقع المعاش. ولا يقتصر هذا الاهتمام على مجرد الرصد والتشخيص، بل يتعداه إلى عرض هذه المشكلات على مائدة القرآن الكريم، والغوص في آياته بحثًا عن الحلول الناجعة والعلاج الشافي المستمد من تعاليم الوحي الإلهي. إن هذا المنهج يمثل تطبيقًا عمليًا لفكرة أن القرآن ليس كتابًا نظريًا أو تاريخيًا فحسب، بل هو دليل حياة ومنهاج إصلاح قادر على معالجة أعقد القضايا التي تواجه المجتمعات البشرية في كل زمان ومكان.

وفي هذا السياق التفسيري الذي يقدمه الإمام الخامنئي، وعند التعرض للآية ١١٣ من سورة التوبة ﴿التي تنهى عن الاستغفار للمشركين بعد تبين عدائهم للحق: **مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ...**﴾، تم استثمار هذه المناسبة لطرح نقاش هام حول واحدة من أخطر الآفات التي قد تصيب أي جماعة أو أمة، ألا وهي آفة الشعور بالغرور والعُجب والزهو بالنفس الناشئ عن امتلاك القوة أو التفوق العددي أو تحقيق الانتصارات. يُبرز تفسير الإمام الخامنئي أن هذا الشعور يعد من أكبر الأمراض الاجتماعية التي تفتك بالمجتمعات وتؤدي إلى انحرافها عن المسار الصحيح وتكون سببًا في هلاكها، كما كان حال الكثير من الأمم السابقة التي أغرتها قوتها وظنت أنها مانعتها. ولمواجهة هذا الخطر الداهم ومنع تفشيه، يقدم القرآن الكريم تعاليم وقائية وعلاجية فعالة، يُعد من أهمها تفعيل مبادئ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والتواصي بالحق والتواصي بالصبر. فهذه المبادئ تعمل كصمامات أمان داخلية، تذكر الأفراد والمجتمعات بواجباتهم، وتحافظ على تواضعهم أمام الله، وتقوي روابطهم الأخوية المبنية على النصيحة المتبادلة، وتحميهم من الانزلاق في مهاوي الغرور والطغيان المؤدي إلى البطر ومعاداة الحق. ويشير التفسير إلى أن ما أصاب المجتمع الإسلامي في بعض فتراته التاريخية من ضعف أو تراجع كان، في جزء منه، بسبب الإهمال وعدم الاكتراث بهذه التعاليم الحيوية التي تحفظ للمجتمع توازنه الروحي والأخلاقي[١٠].

وفي ذيل الآية الرابعة عشرة من سورة التوبة، التي تحث المؤمنين على قتال أعدائهم وتعدهم بالنصر والعون الإلهي ﴿**قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ**﴾، ورد تحليل عميق لمرض اجتماعي وسياسي فتاك، وهو فقدان الإرادة والعزيمة لدى الشعوب، وزوال الرغبة في مقاومة العدو والسعي للتغلب عليه، والرضوخ للظلم والاستكانة للواقع المرير. يشير التفسير إلى أن هذه الحالة من اليأس والاستسلام تمثل مرضًا خطيرًا للغاية، وقد لوحظت بشكل واضح في العديد من البلدان التي وقعت تحت نير الاستعمار والهيمنة الأجنبية، حيث عمل المستعمرون وأعوانهم على كسر إرادة المقاومة لدى الشعوب المحتلة من خلال الحرب النفسية وبث اليأس وتشويه رموز المقاومة. فالآية الكريمة، إذ تربط تعذيب الأعداء وإخزائهم وشفاء صدور المؤمنين بـ "أيدي" المؤمنين أنفسهم وبفعل "قتالهم"، تؤكد بشكل قاطع على أن النصر الإلهي لا يتحقق بالقعود والتواكل وانتظار المعجزات، بل يتطلب إرادة صلبة وسعيًا دؤوبًا وعملاً جادًا وتضحية من قبل الأمة المؤمنة التي تأخذ بأسباب القوة المادية والمعنوية. وبالتالي، فإن فقدان هذه الإرادة أو ضعفها هو بمثابة تعطيل لسنن النصر الإلهية،

ويعد مرضًا يجب على الأمة علاجه واستئصاله من جذوره للحفاظ على عزتها وكرامتها وتحقيق أهدافها العليا[١١].

كذلك، وفي سياق تفسير الآية الرابعة والخمسين من سورة التوبة ﴿**وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّآ أَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَبِرَسُولِهِۦ وَلَا يَأْتُونَ ٱلصَّلَوٰةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَٰرِهُونَ**﴾، تم التعمق في تحليل الجذور الاجتماعية والثقافية الكامنة وراء ظاهرة مقاومة بعض الأفراد والجماعات للحركات الإصلاحية التي قادها الأنبياء والمصلحون عبر التاريخ. يوضح التفسير أن أحد الأسباب الرئيسية لهذه المقاومة الشرسة هو أن هؤلاء المعارضين غالبًا ما يكونون من أصحاب النفوذ والمكانة الاجتماعية والمصالح المادية الكبيرة، وربما تكون بعض هذه المصالح غير مشروعة ومبنية على الاستغلال والظلم. وعندما تأتي دعوة الأنبياء والمصلحين بالحق والعدل والإصلاح، وتدعو إلى تغيير الأوضاع الفاسدة وإقامة القسط بين الناس، فإنها بالضرورة تهدد هذه المصالح والمكاسب غير المشروعة وتعرضها للخطر والزوال. لذلك، يقف هؤلاء المستفيدون من الوضع القائم في وجه الدعوة الإصلاحية بكل ما أوتوا من قوة، مستخدمين كافة الوسائل لعرقلتها وتشويهها ومحاربة القائمين عليها، حفاظًا على امتيازاتهم ومنافعهم الدنيوية الزائلة. ويُقدم هذا التحليل، المستوحى من فهم دوافع المنافقين وأمثالهم، كتنبيه دائم للمجتمع الإسلامي ليظل يقظًا ومتنبهًا لهذا النوع من الخطر، الذي يتكرر في كل عصر بأشكال مختلفة، حيث يسعى أصحاب المصالح والمراكز المسيطرون دائمًا لعرقلة مسيرة الإصلاح والتغيير نحو الأفضل، ومقاومة أي دعوة تهدد نفوذهم وسلطتهم[١٢].

وفي تفسير الآيتين الحادية والأربعين والثانية والأربعين من سورة التوبة ﴿**ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ... لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ...**﴾، تم التصريح بأن هاتين الآيتين تتضمنان ثلاث مسائل كلية وهامة. والملاحظ هنا هو التركيز على المسألة الثالثة التي وُصفت بأنها قضية اجتماعية بامتياز، ألا وهي: "الآثار والعواقب الوخيمة المترتبة على التراخي والتقاعس عن واجب الجهاد، ليس فقط على المستوى الفردي، بل على مستوى الأفق الاجتماعي الأوسع ومصير الأمة ككل". ثم تم بعد ذلك تناول هذه القضية الاجتماعية بالتفصيل والتحليل، مبيناً كيف أن التخلي عن هذه الفريضة الحيوية، سواء كان جهادًا عسكريًا للدفاع عن الأمة أو جهادًا ثقافيًا وفكريًا وسياسيًا لحماية هويتها وقيمها، يمكن أن يؤدي إلى ضعف الأمة وهوانها، وفساد مجتمعها، وضياع هويتها، وتمكين أعدائها منها، وفقدانها لدورها الريادي في قيادة البشرية نحو الخير والصلاح.[١٣] وهذا يؤكد على النظرة الشاملة التي يتبناها الإمام الخامنئي للجهاد كمسؤولية جماعية تؤثر نتائجها على مصير الأمة بأكملها.

٤- ضرورة وأفكار تشكيل الحكومة الإسلامية

ومن السمات البارزة والمميزة للاتجاه التفسيري الاجتماعي والسياسي الذي يتبناه الإمام الخامنئي، هو الاهتمام الخاص بالأحكام الاجتماعية والسياسية التي يزخر بها القرآن الكريم، وذلك في مقابل الأحكام ذات الطابع الفردي البحت. إن هذا الاهتمام لا يقتصر على مجرد بيان الأحكام نظريًا، بل يمتد ليشمل التأكيد على القضايا السياسية الكبرى التي يطرحها القرآن، وفي مقدمتها قضية الحكم والسلطة وضرورة إقامة نظام اجتماعي وسياسي قائم على المبادئ الإسلامية. وفي هذا الإطار، تبرز فكرة ضرورة تأسيس وقيام حكومة إسلامية كأمر حتمي ومطلب أساسي لتطبيق شامل وكامل لتعاليم الإسلام في حياة الأمة، وتحقيق مقاصد الشريعة في جلب المصالح ودرء المفاسد.[١٤] وتظهر هذه الفكرة وتتكرر بوضوح في مواضع متعددة من هذا التفسير، حيث يتم الاستشهاد بآيات قرآنية كريمة، على سبيل المثال لا الحصر، الآيات ١٢، ١٣، ٣٨، ٤٠، و ١١١ من سورة التوبة وغيرها، لإثبات هذه الضرورة الحتمية وبيان ملامح النظام السياسي الإسلامي المنشود. فهذه الآيات، وغيرها كثير، تتحدث عن قتال أئمة الكفر الناكثين للعهود، وعن وعود الله بالنصر للمؤمنين، وعن أهمية الشورى، وعن النصر الإلهي لرسوله، وعن شراء الله لأنفس المؤمنين وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيله، وكلها تشير بوضوح إلى أبعاد سياسية واجتماعية لا يمكن تطبيقها بشكل كامل إلا في ظل وجود كيان سياسي إسلامي (حكومة) يهدف إلى إقامة العدل وتحقيق مصالح الأمة وحماية قيمها والدفاع عن كيانها وتنفيذ أحكام الله في الأرض.

٥- بيان السنن الإلهية

تُشير "سنن الله"، وهو مصطلح يرد ذكره في عدد من الآيات القرآنية الكريمة، إلى القوانين والنظم الثابتة والمطردة التي أودعها الله سبحانه وتعالى في هذا الكون، سواء في عالم التكوين (الخلق والطبيعة) أو في عالم التشريع (الأحكام والقيم). تتميز هذه السنن بأنها لا تتبدل ولا تتحول، فهي تعبر عن إرادة الله وحكمته في تدبير شؤون الخلق ﴿**سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا**﴾. وإلى جانب المواضع التي يُذكر فيها مصطلح "السنة" صراحةً، فإن القرآن الكريم يطرح في مواضع كثيرة أخرى أمثلة تطبيقية لهذه السنن الإلهية دون استخدام هذا العنوان بشكل مباشر، من خلال القصص والأمثال والأحكام والتوجيهات. وهنا يأتي دور المفسرين ذوي النظرة العميقة والبصيرة النافذة، أمثال الإمام الخامنئي، حيث يسعون جاهدين لكشف هذه السنن وبيانها وشرح آلياتها وعلاقات السبب والمسبب التي تحكمها. ويختص جزء هام من هذه السنن ببيان القوانين الحاكمة لحركة المجتمعات البشرية وصعودها وهبوطها، ونجاحها وفشلها، وعزتها

وذلتها، وهي قوانين ثابتة لا تتغير ولا تحابي أحدًا. وإن الوعي بهذه السنن الاجتماعية والانتباه إليها عند وضع الخطط ورسم السياسات، سواء على المستوى الفردي أو الجماعي، لهو الضمان لتحقيق الرفاه والسعادة والتكامل المنشود للفرد والمجتمع على حد سواء، وتجنب السقوط في الأخطاء التي أدت إلى هلاك الأمم السابقة.

ومن الخصائص البارزة والمميزة لهذا التفسير الذي يقدمه الإمام الخامنئي، هو الجهد الملحوظ في كشف النقاب عن هذه السنن الإلهية، سواء كانت مذكورة صراحة أم مستنبطة، وتبيينها للقارئ بشكل واضح ومفصل. والهدف الأساسي من وراء ذلك هو توعية القارئ وتنوير بصيرته بشأن الأسرار والقوانين التي تحكم مسيرة السعادة والتكامل على الصعيدين الفردي والاجتماعي. فمعرفة هذه السنن تمكن الإنسان والمجتمع من فهم أعمق لآليات النجاح والفشل، وتساعد على اتخاذ القرارات الصائبة المبنية على بصيرة، وتجنب الوقوع في الأخطاء التي وقعت فيها الأمم السابقة، وبالتالي السير على طريق الهداية والتقدم وفقًا للخطة الإلهية المحكمة التي تضمن النتائج لمن يأخذ بأسبابها. إن فهم هذه السنن يحرر العقل من الخرافة والتفسيرات السطحية للأحداث، ويربط النتائج بمقدماتها بشكل منطقي وموضوعي.

وتتجلى هذه المنهجية في استكشاف السنن الإلهية وتبيينها في نماذج تطبيقية عديدة ضمن تفسير الإمام الخامنئي، نذكر منها على سبيل المثال:

١.في سياق تفسير الآية الثانية من سورة التوبة، تُعتبر جملة ﴿**وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ**﴾ بمثابة إشارة واضحة إلى قانون إلهي ثابت وسنة لا تتخلف، مؤداها أن الله سبحانه وتعالى سيفضح ويكشف ويكسر شوكة أولئك الذين يكفرون بالحق ويجحدون به ويعملون على تغطيته وإخفائه عن الناس، مهما بلغت قوتهم الظاهرية أو طال أمد استعلائهم[١٥].

٢.وعند تفسير قوله تعالى في الآية الرابعة عشرة ﴿**قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ**﴾، تم التنويه إلى سنة إلهية أخرى بالغة الأهمية، وهي أن الوصول إلى الكمال والسعادة المنشودة، وكذلك حل المشكلات وتجاوز الصعاب وتحقيق النصر على الأعداء، إنما يتحقق في ظل السعي الجاد وبذل الجهد والمثابرة والتضحية من قبل الأفراد والمجتمعات، وليس بمجرد إيكال الأمور إلى الله دون عمل، أو باللجوء إلى الكسل والخمول والتواكل، أو التعلق بالخرافات والأوهام. فالنصر الإلهي يتنزل عبر الأسباب التي يأخذ بها المؤمنون، وأيديهم هي الأداة التي تتحقق بها سنة الله في نصرة الحق[١٦].

٣.وفي ذيل الآية التاسعة والثلاثين من سورة التوبة ﴿**إِلَّا تَنفِرُواْ يُعَذِّبۡكُمۡ عَذَابًا أَلِيمٗا وَيَسۡتَبۡدِلۡ قَوۡمًا غَيۡرَكُمۡ**...﴾، يُعتبر تخلف الناس عن المشاركة في الدفاع عن الأمة ومواجهة أعدائها، وتهربهم

من تحمل المسؤولية الملقاة على عاتقهم، سببًا مباشرًا للوقوع في الذل والهوان والشقاء في الدنيا، ويؤدي حتمًا إلى تسلط الأعداء عليهم واستباحة حرماتهم. وقد وُصف هذا الارتباط الحتمي بين التقاعس عن الواجب وبين الذل والهوان بأنه قانون وسنة من سنن الخلق والاجتماع البشري التي لا تتخلف نتائجها[١٧].

٤.وعند تفسير قوله تعالى في الآية السادسة عشرة ﴿**أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا۟ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَا رَسُولِهِۦ وَلَا ٱلْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً...**﴾، يُعتبر الامتحان والاختبار والابتلاء سنة إلهية عامة وجارية، يُمحص الله بها عباده ويُميز الخبيث من الطيب، والصادق في إيمانه وادعائه من الكاذب المنافق، ويكشف من خلالها معادن الرجال ومدى ثباتهم على المبدأ واستعدادهم للتضحية في سبيله[١٨].

٥.وفي سياق الآية الأربعين من سورة التوبة ﴿**إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ...**﴾، تم التأكيد على أن مسيرة الأحداث، بما فيها نصرة الله لرسوله في أصعب الظروف، تقع ضمن مجرى السنن الإلهية الحاكمة في الكون، وأن من السنن الإلهية الثابتة أن الإسلام كدين حق سيعم وينتشر في نهاية المطاف ليظهر على الدين كله، مهما واجه من تحديات وعقبات، لأن الله تكفل بحفظ دينه ونصرة رسله وأوليائه[١٩].

٦.وفي تفسير الآية الحادية والأربعين ﴿**ٱنفِرُوا۟ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُوا۟ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ...**﴾، يُطرح الجهاد والمثابرة والسعي الدؤوب من أجل بقاء الفكرة والمبدأ وانتشارهما كسنة إلهية جارية في ميدان الاجتماع البشري. فلا يمكن لأي فكرة أو مبدأ، وخاصة الحق، أن يبقى أو ينتصر دون جهاد وتضحية وبذل للجهد المستمر من قبل أتباعه. كما تم التنويه بسنة أخرى من سنن الله في عالم التكوين، وهي قانون الجاذبية أو الاستقرار والثبات، ربما كإشارة إلى أن الحق له جاذبيته وقوته الكامنة التي تضمن له البقاء والثبات في نهاية المطاف إذا ما قُدم بالصورة الصحيحة وبُذل الجهد اللازم لنصرته، وأن السعي والجهاد هو الذي يفعّل هذه القوة الكامنة[٢٠].

٧.وفي تفسير الآية الخمسين ﴿**إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ۖ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا۟ قَدْ أَخَذْنَآ أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا۟ وَّهُمْ فَرِحُونَ**﴾، ورد تحليل لطبيعة الصراع بين الحق والباطل، مفاده أن سنة الكون قد جرت على أنه عندما ينشب خلاف وصراع بين مجموعتين أو فكرتين، فإن المجموعة التي تمتلك رؤية واضحة ومنهجًا فكريًا وعقائديًا متماسكًا ("صاحب مكتب و فكر" أي صاحب رسالة ومبدأ) هي التي ستحقق التقدم والانتصار في نهاية المطاف، بينما تكون المجموعة المقابلة التي تفتقر إلى ذلك، أو تقوم على الباطل والتناقض، محكومة بالهزيمة والفشل على المدى الطويل. هذه هي سنة الكون الثابتة في صراع الأفكار والحضارات. ولكن تحقيق هذا

الهدف النهائي لا يسير في خط مستقيم دائمًا، بل قد يتخلله بعض الصعود والهبوط والانتكاسات الجزئية، وهذه الانتكاسات المؤقتة لا ينبغي أن تُعتبر هزيمة نهائية للمشروع القائم على الحق. وبناءً على ذلك، فإن خطأ المنافقين في صدر الإسلام في حساباتهم، وفرحهم ببعض الهزائم العسكرية التي تعرض لها المسلمون واعتبارها نهاية لدعوة النبي، كان نابعًا من جهلهم بهذه السنن الإلهية الحاكمة لصيرورة التاريخ والصراع بين الأمم والأفكار. ولذلك، جاء القرآن الكريم في رده عليهم ليذكرهم بإحدى هذه السنن الأساسية، وهي أن العاقبة للمتقين وأن الله ناصر دينه ولو كره الكافرون والمنافقون[٢١].

٨.وفي سياق تفسير الآية التاسعة والستين ﴿**كَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ كَانُوٓاْ أَشَدَّ مِنكُمۡ قُوَّةٗ وَأَكۡثَرَ أَمۡوَٰلٗا وَأَوۡلَٰدٗا فَٱسۡتَمۡتَعُواْ بِخَلَٰقِهِمۡ فَٱسۡتَمۡتَعۡتُم بِخَلَٰقِكُمۡ..**﴾، تم التعرض لقضية صعود وهبوط الحضارات والمجتمعات، والسنن الإلهية المتعلقة بعوامل القوة والضعف، والازدهار والانهيار. فالآية تذكر أممًا سابقة كانت أشد قوة وأكثر أموالًا وأولادًا، ولكنها انحرفت عن الحق واستمتعت بنصيبها في الدنيا بطريقة خاطئة فأدى بها ذلك إلى الهلاك.[٢٢] وهذا يشير إلى سنة إلهية مفادها أن التمتع بالقوة المادية والحضارية لا يضمن البقاء والاستمرار إذا لم يقترن بالاستقامة على أمر الله وشكر نعمه والالتزام بالقيم الأخلاقية والعدل الاجتماعي[٢٣].

ثانيًا: الاتجاه الاجتماعي والسياسي في تفسير سيد قطب

تتمثل إحدى الضرورات الأساسية والمستلزمات الجوهرية الأخرى للعودة الحقيقية والصادقة إلى القرآن الكريم، وفقًا لرؤية المفكر الإسلامي سيد قطب، في ضرورة تشكيل وتكوين مجموعة طليعية رائدة. هذه المجموعة لا تتشكل لهدف سياسي محض أو مجرد تجمع بشري، بل هدفها الأساسي هو تحقيق حالة من التجانس الكامل والانسجام العميق والتطابق التام مع منظومة الأفكار والمفاهيم والأحكام والمعايير والقيم التي يطرحها القرآن الكريم، والتماهي مع التعاليم السماوية السامية في كل جوانب حياتها الفردية والجماعية. إنها عملية صهر وتشكيل لهذه الطليعة لتصبح نموذجًا حيًا ومعبرًا عن التصور الإسلامي الصحيح.

ويرى سيد قطب أن المنهج أو "البرنامج" الذي يقدمه الإسلام لتنظيم حياة البشر هو منهج لا مثيل له على الإطلاق، فريد من نوعه في خصائصه وأهدافه، ويمثل شيئًا جديدًا تمامًا على البشرية، وبالغ الكمال في شموله وتوازنه. وهو يعتبر أن البشرية في وضعها الراهن، الذي يصفه بـ"الجاهلية المعاصرة" (والتي لا يقصرها على فترة ما قبل الإسلام، بل يراها حالة ذهنية وسلوكية قائمة على رفض حاكمية الله)، لا تعرف حقيقة هذا المنهج الرباني ولا تدرك أبعاده وقيمته الحقيقية، بل هي بطبيعتها عاجزة عن أن تأتي بمثله أو حتى بما يقاربه، لأن مصدره إلهي متعالٍ

عن النقص البشري. ومن هذا المنطلق، ولكي يتم تعريف البشرية بهذا البرنامج الإلهي الفريد وعرضه عليها بصورة مقنعة ومؤثرة، يرى سيد قطب أنه من الضروري واللازم أن يتجسد هذا البرنامج أولاً في واقع عملي ملموس، وأن تقوم أمة أو جماعة تعيش وفقًا لمبادئه وتطبق أحكامه في حياتها اليومية. وذلك حتى تظهر للبشرية جمعاء النتائج العملية والإنجازات المباركة والآثار الإيجابية الملموسة التي يحققها هذا المنهج في حياة الأفراد والمجتمعات، من عدل وأمن وتكافل وتقدم حقيقي وسعادة روحية ومادية. هذا التجسيد العملي هو وحده القادر على لفت أنظار العالم وجذب انتباه البشرية نحو هذا النموذج الفريد، ليصبح حجة عملية دامغة على صلاحية الإسلام لكل زمان ومكان.

ولتحقيق هذا المقصد النبيل والهدف الاستراتيجي، يؤكد سيد قطب على الحاجة الماسة إلى وجود "جماعة طليعية" تمتلك العزيمة الصادقة والإرادة الصلبة للقيام بهذا الدور التاريخي. يجب أن تتحرك هذه الجماعة بثبات في هذا المسار، وأن تتقدم في خضم الامتداد الواسع لما يسميه "الجاهلية العالمية"، متسلحة بالوعي والبصيرة. ولكي تتمكن هذه الجماعة الطليعية من القيام بهذا العزم وهذا التحرك وهذا التقدم في مواجهة التحديات الهائلة، فإنها تحتاج بالضرورة إلى مجموعة واضحة من "المعالم" و"المعايير" التي توجه مسيرتها وتضبط حركتها وتحفظ هويتها. ويشدد سيد قطب على أن هذه المعالم والمعايير يجب، وبشكل حصري وحتمي، أن تُستمد وتُستقى من المصدر الأصيل والنبع الصافي، وهو القرآن الكريم وتوجيهاته الأساسية، وكذلك من البصيرة والرؤية العميقة التي أحدثها هذا القرآن في قلوب ونفوس الجماعة المؤمنة الأولى في صدر الإسلام، والتي شكلت النموذج الأول لهذه الطليعة الرائدة[٢٤].

وبناءً على هذه الرؤية، نجد أن المفسر سيد قطب، في تفسيره الشهير "في ظلال القرآن"، يولي اهتمامًا كبيرًا، ويكرس مساحات واسعة في مختلف مواضع التفسير، لبيان وشرح هذه المعالم والمعايير اللازمة للجماعة الطليعية، مستندًا في ذلك إلى آيات القرآن الكريم وما تتضمنه من توجيهات وبرامج إلهية. فهو لا يكتفي بتفسير الآيات تفسيرًا لغويًا أو تاريخيًا فحسب، بل يستنبط منها الدروس والعبر المتعلقة بمسيرة هذه الجماعة. ويتناول بالتفصيل المراحل التي تمر بها عملية تشكيل هذه "الأمة الطليعية"، ويكشف عن أنواع الفتن والمؤامرات والمكائد والعقبات والصعوبات والمشقات والمشكلات التي قد تعترض طريقها، ويحذر من الأعداء الظاهرين والمستترين الذين يسعون لإجهاض مشروعها. وفي المقابل، يوضح أيضًا أنواع الزاد الروحي والفكري والإمكانات المادية والمعنوية والمقتضيات الأخرى التي تحتاجها هذه الجماعة لمواصلة مسيرتها وتحقيق أهدافها.

وعلاوة على ما ضمنه في تفسيره "في ظلال القرآن"، ولأهمية هذا الهدف في فكره، فقد أفرد سيد قطب كتابًا مستقلاً آخر ﴿وهو كتاب "معالم في الطريق" الذي يعتبر بمثابة بيان أو مانيفستو لهذه الرؤية﴾ ليركز بشكل أكبر على تفصيل هذه الرؤية وتحديد معالم الطريق للجماعة المنشودة. والغاية من ذلك هي أن تتشكل هذه "الأمة" أو "الجماعة" الناهضة والطليعية بمعالمها ومواصفاتها وخصائصها المتميزة، باعتبار وجودها ضرورة من ضرورات تحقيق المنهج الإلهي في الأرض. وأن تتمكن هذه الجماعة، من خلال التزامها العملي والواقعي، من بناء كيانها وشخصيتها وطبيعتها وحضارتها الخاصة المتكئة على الخصائص والمقومات الإلهية المستمدة من الوحي. ومن خلال الالتزام والتعهد الكامل بتطبيق الأوامر والاستلهام الدائم من التوجيهات الربانية، تستطيع هذه الجماعة أن تقدم للعالم أجمع النتائج والثمرات العملية المؤثرة والنافذة لهذا البرنامج الرباني، لتكون بذلك نموذجًا حيًا وأسوة حسنة وقدوة عملية للعالمين، تبرهن على تفوق المنهج الإلهي وقدرته على إسعاد البشرية[٢٥].

وبالنظر إلى كل ما تقدم، يمكن التأكيد والقول بأن سيد قطب يرى أن وجود "الاجتماع" أو "الجماعة" أو "الأمة الطليعية" هو شرط ضروري وحاسم لنجاح عملية التربية القرآنية وتحقيق أهدافها عند الشروع في العودة الحقيقية إلى القرآن الكريم. فهو يعتبر أن الفرد المسلم لا يمكن أن يتأسس إسلامه بشكل صحيح وكامل إلا ضمن جماعة مؤمنة وملتزمة. بل ويذهب إلى أبعد من ذلك، حيث يرى أنه لا يمكن تصور قيام الإسلام وتحققه في الواقع إلا في بيئة اجتماعية منظمة، تتميز بوجود روابط قوية ونظام واضح وهدف اجتماعي مشترك تسعى الجماعة لتحقيقه، أي ضمن جماعة تسود بين جميع أفرادها روابط حية وفعالة ومؤثرة، قائمة على الأخوة في الله والتعاون على البر والتقوى والتناصح بالحق[٢٦].

وفي هذا السياق، يقوم سيد قطب بتقييم عملية تأسيس الحكومة الإسلامية وقيام الدولة النبوية في المدينة المنورة بأنها جاءت نتيجة طبيعية ومنطقية لعملية بناء وتكوين استمرت طوال الفترة المكية. فهو يعتقد أنه خلال الفترة المكية الصعبة، تم تشكيل "مجموعة طليعية" و"جماعة مسلمة" متماسكة تحت قيادة النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكانت هذه الجماعة ملتزمة بمجموعة من المتطلبات والمعايير الخاصة، وتمتلك كيانًا متميزًا وطبيعة خاصة، وتتحلى بآداب فردية واجتماعية تميزها عن المجتمع الجاهلي الذي كانت تعيش فيه. وهذه المجموعة المؤمنة الصابرة المثابرة هي التي شكلت المقدمة الضرورية والأساس المتين الذي قامت عليه الدولة

والحكومة الإسلامية في المدينة المنورة لاحقًا، وهي التي حملت عبء تطبيق المنهج الإسلامي في الواقع.

فيما يلي أمثلة تفسيرية توضح هذا المنهج:

١. مفهوم الحاكمية ورفض الجاهلية (سورة الأنعام، الآية ٥٧) في سياق تفسيره لقوله تعالى :﴿**قُلْ إِنِّي عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَكَذَّبْتُم بِهِۦ ۚ مَا عِندِي مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِۦٓ ۚ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ الْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ**﴾، يطرح سيد قطب مفهومه المحوري عن الحاكمية باعتبارها جوهر الألوهية.

القضية ليست مجرد إيمان بالله كخالق، بل الإقرار له وحده بالسيادة والتشريع والحكم في كل شؤون الحياة. ويرى قطب أن المجتمعات المعاصرة، حتى التي تدعي الإسلام، قد ارتدت إلى "الجاهلية" بسلبها هذا الحق من الله وإعطائه للبشر.

يفسر عبارة ﴿**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**﴾ بأنها "قضية الدين الكبرى"، و"قضية التوحيد الأولى". لا يقتصر "الحكم" عنده على القضاء في الخصومات، بل يشمل التشريع، ووضع القيم والمعايير، وتنظيم كل مناحي الحياة السياسية والاجتماعية والاقتصادية. ويعتبر أن أي نظام يسمح للإنسان بأن يشرّع من عند نفسه هو نظام "شركي" ومجتمع "جاهلي". فالمعركة بين الإسلام والجاهلية، قديمًا وحديثًا، هي معركة حول لمن تكون الحاكمية. هذه الآية، في نظره، ليست مجرد تقرير عقائدي، بل هي إعلان ثوري على كل حكم بشري، ودعوة للجماعة المسلمة للعمل على إعادة هذه الحاكمية لله وحده في الأرض[٢٧].

٢. تعريف الكفر بإنكار الحاكمية (سورة المائدة، الآية ٤٤) عند تفسيره لقوله تعالى :﴿...**وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ**﴾، يقدم قطب أحد أكثر تطبيقاته جذرية لمفهوم الحاكمية.

القضية المطروحة ما هو حد الكفر والإيمان؟ وهل يقتصر الكفر على الجحود القلبي وإنكار وجود الله؟

يرى سيد قطب أن هذه الآية وما بعدها (الظالمون، الفاسقون) تضع تعريفًا حاسمًا للكفر. فالحكم بغير ما أنزل الله ليس مجرد "معصية"، بل هو "كفر" مخرج من الملة، لأنه يتضمن رفض ألوهية الله وادعاء هذا الحق المقدس للنفس. بناءً على هذا، فإن أي مجتمع لا يطبق شريعة الله كنظام شامل للحياة هو "مجتمع كافر" و"دار حرب"، حتى لو كان أفراده يقيمون الصلاة والصيام. هذه الرؤية تشكل الأساس النظري لدعوته إلى انفصال "الطليعة المؤمنة" شعوريًا وعمليًا عن هذه

المجتمعات "الجاهلية" تمهيدًا لإقامة "دار الإسلام" الحقيقية. فالآية ليست حكمًا تاريخيًا على بني إسرائيل، بل هي قانون إلهي عام وحاسم لكل زمان ومكان[٢٨].

٣. هدف الجهاد: إزالة أنظمة الجاهلية (سورة الأنفال، الآية ٣٩) في تفسيره لآية الأمر بالقتال :﴿**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**...﴾، يحدد سيد قطب الهدف النهائي للحركة الإسلامية.

القضية المطروحة ما هي غاية الجهاد في الإسلام؟ هل هو دفاعي فقط لرد العدوان، أم له هدف أوسع؟

يرفض قطب حصر الجهاد في المفهوم "الدفاعي" الضيق (الدفاع عن حدود الأرض). ويرى أن الجهاد هو حركة هجومية لتحرير "الإنسان" في "الأرض" من كل سلطان سوى سلطان الله. ويفسر "الفتنة" هنا بأنها عبودية البشر للبشر، أي الأنظمة والمجتمعات التي تقوم على حاكمية غير حاكمية الله. فالغاية إذن هي إزالة هذه "الأنظمة الطاغوتية" التي "تفتن" الناس عن عبادة الله وحده. أما عبارة ﴿**وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**﴾ فتعني أن يصبح منهج الله وشريعته هو السائد والمهيمن في حياة الناس، ويتحرر الناس من عبادة العباد. فالجهاد ليس لإكراه الناس على اعتناق الإسلام، بل هو لإزالة الأنظمة المادية التي تحول بينهم وبين حرية الاختيار والاستماع للمنهج الرباني[٢٩].

٤ –حتمية وجود "الأمة الطليعية" (سورة آل عمران، الآية ١٠٤) عند تفسيره لقوله تعالى :﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾، يجد قطب النص القرآني المباشر على ضرورة وجود الجماعة المنظمة.

القضية المطروحة هي كيف يتحقق الإسلام في الواقع؟ هل يكفي وجود أفراد صالحين متفرقين؟

يرى قطب أن هذه الآية هي تكليف إلهي صريح بوجوب إقامة "جماعة منظمة" أو "سلطة قائمة" تتولى مهمة الدعوة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. فالإسلام، في نظره، لا يمكن أن يقوم إلا في "جماعة"، والفرد المسلم لا يستقيم إسلامه إلا ضمن "مجتمع مسلم". هذه "الأمة" أو الجماعة ليست مجرد وعاظ، بل هي "سلطة" لأن الأمر والنهي يقتضيان قوة لتنفيذهما. هذه هي "الجماعة الطليعية" التي يجب أن تتكون لتحمل عبء تطبيق المنهج الإلهي، وتكون هي أساس المجتمع الإسلامي المنشود. والفلاح مرتبط بوجود هذه الجماعة وقيامها بواجبها، مما يؤكد على أن العمل الجماعي المنظم هو شرط لتحقيق الغاية[٣٠].

٥. المفاصلة مع المجتمع الجاهلي (سورة التوبة) في مقدمته لتفسير سورة التوبة (براءة)، يضع قطب السورة في إطارها الحركي كبيان لـ "المفاصلة النهائية" بين المجتمع المسلم والمجتمع الجاهلي.

القضية المطروحة هي كيف يجب أن تكون علاقة الجماعة المسلمة بالمجتمعات الجاهلية المحيطة بها؟

يرى أن سورة براءة تمثل "بيانًا ختاميًا" ينظم العلاقات النهائية بين "المعسكر الإسلامي" و"المعسكرات الأخرى"، وعلى رأسها الشرك. فهي لم تعد تقبل التعايش القائم على المعاهدات المؤقتة، بل أعلنت المفاصلة الكاملة والحرب على الشرك (الجاهلية) ككيان ونظام. هذه السورة، في نظره، تضع الأحكام النهائية للدولة الإسلامية في علاقاتها الخارجية، وتحدد طبيعة "دار الإسلام" في مواجهة "دار الحرب". هي ليست مجرد أحكام تاريخية، بل هي "منهج" للجماعة المسلمة في كل عصر، يعلمها ضرورة التميز الكامل عن الجاهلية والاستعداد لمواجهتها لإقامة دين الله في الأرض[٣١].

٦. الإسلام نظام شامل للحياة (سورة البقرة، الآية ٢٠٨) عند تفسيره لقوله تعالى :﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ**...﴾، يؤكد على شمولية المنهج الإسلامي.

القضية المطروحة هي هل يمكن للمسلم أن يأخذ من الإسلام جانبًا (كالأخلاق والعبادات) ويترك جوانب أخرى (كالسياسة والتشريع)؟

يفسر "السِّلم" هنا بأنه "الإسلام". والأمر بالدخول فيه "كافة" يعني الدخول في الإسلام بكل أحكامه وتشريعاته ونظمه، دون تجزئة أو انتقاء. ويعتبر أن أي محاولة لأخذ بعض الإسلام وترك البعض الآخر، أو خلطه بمناهج أخرى وضعية (جاهلية)، هي من "خطوات الشيطان". هذه الآية، في رأيه، هي دعوة للجماعة المسلمة لتبني الإسلام كمنهج حياة كامل وشامل، يصبغ كل جوانب الحياة بصبغة الله، ويرفض أي مشاركة أو موالاة للأنظمة الأرضية الأخرى. فالاستسلام لله يجب أن يكون كليًا، وهذا لا يتحقق إلا في مجتمع يحكمه الإسلام وحده[٣٢].

النتائج الرئيسية للبحث

بعد التحليل المقارن للمنهج التفسيري الاجتماعي والسياسي لدى كل من الإمام الخامنئي وسيد قطب، توصل البحث إلى مجموعة من النتائج الأساسية التي توضح طبيعة رؤية كل منهما، وتحدد نقاط الالتقاء والافتراق بينهما، وهي كالتالي:

أولاً: فيما يتعلق بالاتجاه الاجتماعي السياسي لدى الإمام الخامنئي:

١.**المنهجية الواقعية (البراغماتية)** :أظهرت النتائج أن تفسير الإمام الخامنئي ينطلق من الواقع المعاصر للأمة، ويهدف إلى استخدام القرآن كأداة مباشرة لتشخيص المشكلات القائمة (الاجتماعية، السياسية، الفكرية) وتقديم حلول عملية لها، مما يمنح تفسيره طابعاً تطبيقياً وحركياً.

٢.**مركزية الدولة والحكم** :يُعد مفهوم "الحكومة الإسلامية" ركيزة أساسية في فكره التفسيري، حيث يرى أن تطبيق الأحكام الاجتماعية والسياسية للقرآن (كالجهاد، والأمر بالمعروف، والزكاة بمفهومها الواسع) لا يمكن أن يتحقق بشكل كامل وفعّال إلا في ظل وجود كيان سياسي إسلامي يمتلك السلطة والإرادة.

٣.**التحصين الفكري** :يتخذ تفسيره منحىً دفاعياً وهجومياً في آن واحد، من خلال التصدي المنهجي والمفصل للشبهات التي تُثار حول المفاهيم القرآنية. وهذا يعكس وعياً عميقاً بطبيعة الصراع الفكري والثقافي المعاصر، وسعياً لتزويد المسلم بالحصانة اللازمة.

٤.**التركيز على السنن الإلهية** :يُعتبر الكشف عن "سنن الله" الاجتماعية والتاريخية الحاكمة لنهضة الأمم وسقوطها سمة بارزة في منهجه. وهو يهدف من خلال ذلك إلى تزويد الأمة بقوانين النجاح والفشل، لتبني خططها على بصيرة وعلم بدلاً من التواكل أو التفسيرات السطحية.

ثانياً: فيما يتعلق بالاتجاه الاجتماعي لدى سيد قطب:

١.**مركزية الجماعة الطليعية** :أظهرت النتائج أن المشروع القرآني لدى سيد قطب يتمحور برمته حول فكرة تأسيس "جماعة طليعية" أو "نواة صلبة". هذه الجماعة هي الشرط المسبق والضروري لأي تغيير، وهي التي تتلقى التربية القرآنية وتنفصل شعورياً عن "الجاهلية المعاصرة."

٢.**المنهجية التأسيسية الثورية** :يتبنى سيد قطب منهجاً تأسيسياً يهدف إلى بناء مجتمع جديد من الصفر، وليس إصلاح المجتمع القائم. فالدولة الإسلامية (الحاكمية) ليست الأداة، بل هي الثمرة والنتيجة الحتمية لنجاح هذه الجماعة في التكون والتمكين.

٣.**الثنائية الحادة (الإسلام والجاهلية)** :يقوم فكره على ثنائية واضحة بين عالم "الإسلام" وعالم "الجاهلية"، حيث يعتبر أن المجتمعات المعاصرة تعيش حالة جاهلية لرفضها حاكمية الله، مما يستدعي بناء بديل حضاري كامل بدلاً من محاولة الترقيع أو الإصلاح الجزئي.

ثالثاً: في المقارنة بين المنهجين:

١.**نقطة الانطلاق** :ينطلق الإمام الخامنئي من **الدولة والمجتمع** كوحدة تحليل أساسية، ساعياً لإصلاحها وتوجيهها بالقرآن. بينما ينطلق سيد قطب من **الفرد والجماعة** كشرط أولي، ساعياً لتأسيسها كنواة لتغيير العالم.

٢.**الأولوية** :الأولوية لدى الإمام الخامنئي هي **إقامة الحكم وإدارة شؤون الأمة** وفق المنهج الإسلامي. أما الأولوية لدى سيد قطب فهي **التربية وتكوين الجماعة** المؤمنة القادرة على حمل المشروع.

٣.**طبيعة المشروع** :يمكن وصف مشروع الإمام الخامنئي بأنه "**مشروع دولة** "يهدف إلى التمكين والإصلاح من خلال مؤسسات الحكم. في المقابل، يمكن وصف مشروع سيد قطب بأنه "**مشروع جماعة** "يهدف إلى التغيير الجذري من خلال بناء قاعدة مجتمعية بديلة.

يخلص البحث إجمالاً إلى أن كلا المفكرين يشتركان في الإيمان بشمولية الإسلام وضرورة تفعيله اجتماعياً وسياسياً، لكنهما يختلفان جوهرياً في استراتيجية التغيير ونقطة البداية، مما أدى إلى تبلور رؤيتين متميزتين أثرتا بشكل كبير في مسارات الفكر والحركة الإسلامية المعاصرة.

الهوامش

[١] - الخامنئي، علي، تفسير سورة البراءة، ص٤٦١-٤٦٤.
[٢] - الخامنئي، علي، تفسير سورة البراءة، ص٤٦٩-٤٧٣.
[٣] - الخامنئي، علي، تفسير سورة البراءة، ص٣٤.
[٤] - الخامنئي، علي، تفسير سورة البراءة، ص٤٦.
[٥] - الخامنئي، علي، تفسير سورة البراءة، ص٤٨.
[٦] - المصدر نفسه، ص٦٥-٦٦.
[٧] - راجع: الخامنئي، علي، تفسير سورة البراءة، ٦٩.
[٨] - الخامنئي، علي، تفسير سورة البراءة، ص٧٤.
[٩] - الخامنئي، علي، تفسير سورة البراءة، ص٨٢.
[١٠] - الخامنئي، علي، تفسير سورة البراءة، ص١٣٧.
[١١] - الخامنئي، علي، تفسير سورة البراءة، ص٢٢.
[١٢] - الخامنئي، علي، تفسير سورة البراءة، ص٣٣.
[١٣] - المصدر نفسه، ص٢٨.
[١٤] - مجموعة باحثين، الفكر السياسي عند الإمام الخامنئي، ص٣٢.
[١٥] - الخامنئي، علي، تفسير سورة البراءة، ص١١.
[١٦] - الخامنئي، علي، تفسير سورة البراءة، ص٢٨.
[١٧] - المصدر نفسه، ص٩٣.
[١٨] - المصدر نفسه، ص٣٣.
[١٩] - المصدر نفسه، ص٩٥.
[٢٠] - الخامنئي، علي، تفسير سورة البراءة، ص٩٨.
[٢١] - الخامنئي، علي، تفسير سورة البراءة، ص١٢١.
[٢٢] - المصدر نفسه، ص١٤٧.
[٢٣] - المصدر نفسه، ص٢١٩.

[٢٤] - البهنساوى أضواء على معالم فى الطريق، الطبعة الثانية، المنصورة، ١٤٢٦هـ ، ص ٢٦ .
[٢٥] - فضل الله، مهدي، مع سيد قطب في فكره السياسي والديني، ص٩٨-٩٩.
[٢٦] - راجع : سيد قطب معالم فى الطريق، المصدر السابق ٩٤ سالم ، البهنساوى، المصدر السابق، صص ٢١ - ٢٤ .
[٢٧] - قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٣، ص١١٣٣-١١٣٤
[٢٨] - المصدر نفسه، ج ٢، ص٨٩٨.
[٢٩] - قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ٣، ص١٤٩٢-١٤٩٣.
[٣٠] - المصدر نفسه، ج ١، ص٤٤١-٤٤٢.
[٣١] - المصدر نفسه، ج ٣، ص١٥٩٩-١٦٠١.
[٣٢] - قطب، سيد، في ظلال القرآن، ج ١، ص٢١٩.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم

١.أبو ربيع، إبراهيم .(2002) *فكر سيد قطب السياسي* .ترجمة: هبة رءوف عزت. بيروت: دار الفكر المعاصر.

٢.الجابري، محمد عابد .(1991) *العقل السياسي العربي: محدداته وتجلياته* .بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

٣.حيدر، إبراهيم .(2015) *النظام والسلطة والمجتمع: دراسة في الفكر السياسي الشيعي المعاصر* .بيروت: دار الساقي.

٤.الخامنئي، الإمام السيد علي .(2018) *مشروع تفسير القرآن الكريم: تفسير سورة التوبة* .بيروت: دار الولاء لصناعة النشر.

٥.الخامنئي، الإمام السيد علي. (بلا تاريخ) *مجموعة الخطابات والبيانات والأحاديث* .تم الاسترجاع من الموقع الرسمي لمكتب الإمام الخامنئيhttps://www.leader.ir/ar :

٦.خليفة، عبد العزيز .(2010) *مفهوم الحاكمية من الخوارج إلى سيد قطب* .الإسكندرية: دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر.

٧.عمارة، محمد .(1988) *تيارات الفكر الإسلامي* .القاهرة: دار الشروق.

٨.فضل الله، مهدي، مع سيد قطب في فكره السياسي والديني .(١٩٩٨) . بيروت: مؤسسة الرسالة.

٩.قطب، سيد .(2003) *في ظلال القرآن* .(الطبعة السابعة والثلاثون). القاهرة: دار الشروق.

١٠.قطب، سيد .(2006) *معالم في الطريق* .القاهرة: دار الشروق.

١١.قطب، سيد .(2007) *العدالة الاجتماعية في الإسلام* .(الطبعة السادسة عشرة). القاهرة: دار الشروق.

١٢.كشك، عبد الحميد .(1987) *في رحاب التفسير* .(الجزء التاسع، تفسير سورة التوبة). القاهرة: المكتب المصري الحديث.

١٣.مجموعة باحثين.(٢٠٢٠) .الفكر السياسي عند الإمام الخامنئي .بيروت: دار المعارف الحكمية.

١٤.موسوي، روح الله. (الإمام الخميني) .(1979) *الحكومة الإسلامية* .بيروت: دار الطليعة للطباعة والنشر.

References

•The Holy Qur'an.

1.Abu-Rabi', I. (2002). *Fikr Sayyid Qutb al-Siyasi*)The Political Thought of Sayyid Qutb((H. R. Ezzat, Trans.). Beirut: Dar al-Fikr al-Mu'asir.

2.Al-Jabri, M. A. (1991). *Al-'Aql al-Siyasi al-'Arabi: Muhaddidatuhu wa Tajalliyatuh*)The Arab Political Mind: Its Determinants and Manifestations(. Beirut: Markaz Dirasat al-Wahdah al-'Arabiyyah.

3.Al-Khamenei, S. A. (2018). *Mashru' Tafsir al-Qur'an al-Karim: Tafsir Surat al-Tawbah*)The Project for the Exegesis of the Holy Qur'an: Exegesis of Surah At-Tawbah(. Beirut: Dar al-Wala' li-Sina'at al-Nashr.

4.Al-Khamenei, S. A. (n.d.). *Majmu'at al-Khitabat wa al-Bayanat wa al-Ahadith*)Collection of Speeches, Statements, and Discourses(. Retrieved from the official website of the Office of Imam Khamenei: https://www.leader.ir/ar

5.Fadlallah, Mahdi. (1998). *With Sayyid Qutb in His Political and Religious Thought*. Beirut: Mu'assasat Al-Risala.

6.Haydar, I. (2015). *Al-Nidham wa al-Sultah wa al-Mujtama': Dirasah fi al-Fikr al-Siyasi al-Shi'i al-Mu'asir*)Order, Authority, and Society: A Study in Contemporary Shi'i Political Thought(. Beirut: Dar al-Saqi.

7.Imarah, M. (1988). *Tayyarat al-Fikr al-Islami*)Currents of Islamic Thought(. Cairo: Dar al-Shorouk.

8.Khalifa, A. (2010). *Mafhum al-Hakimiyyah min al-Khawarij ila Sayyid Qutb*)The Concept of Hakimiyyah from the Kharijites to Sayyid Qutb(. Alexandria: Dar al-Wafa' li-Dunya al-Tiba'ah wa al-Nashr.

9.Kishk, A. (1987). *Fi Rihab al-Tafsir*)In the Realm of Exegesis((Vol. 9, Tafsir Surat al-Tawbah). Cairo: Al-Maktab al-Misri al-Hadith.

10.Musawi, R. (Imam Khomeini). (1979). *Al-Hukumah al-Islamiyyah*)Islamic Government(. Beirut: Dar al-Tali'ah li-l-Tiba'ah wa al-Nashr.

11.Qutb, S. (2003). *Fi Zilal al-Qur'an*)In the Shade of the Qur'an((37th ed.). Cairo: Dar al-Shorouk.

12.Qutb, S. (2006). *Ma'alim fi al-Tariq*)Milestones(. Cairo: Dar al-Shorouk.

13.Qutb, S. (2007). *Al-'Adalah al-Ijtima'iyyah fi al-Islam*)Social Justice in Islam((16th ed.). Cairo: Dar al-Shorouk.

14.Research Group. (2020). *The Political Thought of Imam Khamenei*. Beirut: Dar Al-Ma'arif Al-Hikmiyya.